أدوات الكتابة فى العصر الجاهلى

وقد كان للكتابة أدواتها الشهيرة المعروفة لديهم ، وهى :

أولاً : الجلد : وكان يسمى (الرق) و (الأديم) و (القضيم) وتقول معاجم اللغة مفرقة بين هذه الأسماء (الرق) الجلد الرقيق الذى يسوى ويرقق ثم يكتب عليه ، و(الأديم) هو الجلد الأحمر أو المدبوغ ، والقضيم هو الجلد الأبيض يكتب فيه . وقد ورد ذكرها فى القرآن وأشعارهم ، قال تعالى :

﴿ **وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ * فِى رَقٍّ مَّنْشُورٍ** ﴾[1] .

ويقول طرفة بن العبد البكرى :

كسطور الرق رقشه ... بالضحى مرقش يشمه[2]

وقال معقل بن خويلد الهذلى[3] :

وإنى كما قال مملى الكتا ... ب فى الرق إذ خطه الكاتب

وقول الأخنس التغلبى :

لابنة حطان بن عوف منازل ... كما رقش العنوان فى الرق كاتب[4]

ويقول الشاعر (حاتم الطائى) :

أتعرف أطلالاً ونؤيا مهدمًا ... كحظك فى رق كتابًا منمنما[5]

وفى « الأديم » يقول المركش الأكبر :

الدار قفر والرسوم كما ... رقش فى ظهر الأديم قلم[6]

---

(١) سورة الطور ، الآيات ١ ، ٢ ، ٣ .
(٢) الديوان .
(٣) ديوان الهذليين ٣/ ٧٠ .
(٤) المؤتلف والمختلف للآمدى ، ص٢٧ .
(٥) الوصف فى الشعر العربى ١/ ٢٤٧ طبع البابى الحلبى وشركاه بمصر .
(٦) البيان والتبين للجاحظ ١/ ٣٧٥ ، والأغانى ١/ ١٢٧ ومعجم الشعراء للمرزبانى ، ص٢٠١ .

كما ورد ذكر الأديم فيما روى من كتب الرسول عليه السلام عن «رافع بن خديج» «فإن المدينة حرام حرمها رسول الله ﷺ وهو مكتوب عندنا فى أديم خولانى»[١] .

وفى « القضيم » يقول النابغة الذبيانى :

كأن مجر الرامسات ذيولها　　عليه قضيم تمقته الصوانع[٢]

ويقول امرؤ القيس :

وعادى عداء بين ثور ونعجة　　وبين شيوب كالقضيمة قرهب[٣]

وقال زهير بن أبى سلمى المزنى :

كأن دماء المؤسدات بنحرها　　أطية صرف فى قضيم مسرد[٤]

ثانياً : القماش : وهو من القطن أو الحرير ، فإذا كانت من القماش سميت «المهارق» وهى الصحف ، واحدها « مهرق »[٥] .

ويقول الجاحظ : « لا يقال للكتب (مهارق) حتى تكون كتب دين ، أو كتب عهود ومواثيق وأمان »[٦] وقد ورد ذكرها فى شعرهم الجاهلى ، قال الحارث بن حلزة اليشكرى :

حذر الجور والتعدى وهل　　ينقض ما فى المهارق الأهواء

وقال :

لمن الديار عفون بالحبس　　آياتها كمهارق الفرس

وقال الأسود بن يعفر :

سطور يهوديين فى مهرقيهما　　مجيدين من تيماء أو أهل مدين

---

(١) مسند الإمام أحمد ٤/ ١٤١ .　　(٢) الديوان .

(٣) الديوان ، ص٥٢ ت محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، سنة ١٩٦٤م ، القضيمة : الصحيفة البيضاء ، الشيوب والقرهب . الثور المسن ، الرامسات : الرياح ، المؤسدات : المغريات بالصيد . أطية مفردها طياية وهى : الجلود . صرف : صبغ أحمر ، مسرد : مخروز .

(٤) الديوان .　　(٥) المعلقات للتبريزى ، ص١٦٨ وما بعدها .

(٦) الحيوان للجاحظ ٦٩ .

ثالثًا : النبات :ومن أنواعه ، العسيب : وهو سعف النخيل أو جريده .

يقول لبيد :

متعـــود لحن بعـــيد بكفـــه قلما على عسب ذبلن وبان[1]

رابعًا : العظام :ومن أشهرها أكتاف الحيوانات والأضلاع وكان يكتب عليها الوحى ، قال زيد بن ثابت : « فجعلت أتتبع القرآن من صدور الرجال ، ومن الرقاع ومن الأضلاع »[2] .

وعن هانئ قال : كنت عند عثمان بن عفان رضى الله عنه فأرسلنى بكتف شاة إلى (أبى بن كعب) فيها « لم يتسن » و « فأمهل الكافرين » و « لا تبديل للخلق » قال : فدعا بالدواة فمحا إحدى اللامين وكتب « لخلق الله » ومحا « فأمهل » وكتب « فمهل » وكتب « لم يتسنه »[3] .

خامسًا : الحجارة :كما أن النقش على الحجارة أداة من أدوات الكتابة فى العصر الجاهلى . وسجلوا ذلك فى شعرهم ، يقول لبيد :

فمـــدافع الريان عـرى رســـمها خلقًا كما ضمن الوحى سلامها[4]

فلفظة « سلامها » يعنى حجارتها .

ويقول بعض العلماء : السلام : ما كانوا يكتبون عليه من عظم أو حجارة ، واستشهد بيت[5] (لبيد) المذكور ، والوحى جمع وحى وهو الكتاب ، يقال : وحيت أحى وحيًا ، إذا كتبت .

يقول الله عز وجل : ﴿ **فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا** ﴾[6] أراد كتب لهم . قال الشاعر :

كوحى صحائف فى عهد كسرى فأهـــداها الأعجـــم طمطمى[7]

---

(١) الديوان . (٢) المقنع ، ص٣ .

(٣) الصاحبى لابن فارس ، ص١٠ . (٤) المعلقات للتبريزى . سلامها : حجارتها .

(٥) النثر الفنى وأثر الجاحظ فيه د/ عبد الحليم بلبع . (٦) سورة مريم ، الآية ١١ .

(٧) شرح القصائد السبع الطوال لابن الأنبارى ، ت هارون ، ص٥١٩ ط دار المعارف القاهرية .

وقال جرير :

كأن أخا اليهود يخط وحيا بكاف فى منازلها ولام[1]

أراد : يكتب كتابًا : والسلام : الصخور ، واحدتها سليمة ، قال الشاعر :

ذاك خليلى وذو يعاتبنى يرمى ورائى بالسهم والسلمة

ويقول زهير :

لمن الديار غشيتها بالفدفد كالوحى فى حجر المسيل المخلد[2]

قال ابن النديم : والعرب تكتب فى أكتاف الإبل ، واللخاف وهى الحجارة الرقاق البيض ، وفى العسب عسب النخل[3] .

سادسًا : الورق : والكتابة على الورق لم تنشر إلا فى أواخر القرن الثانى الهجرى ، والذى يوافق الثامن من الميلاد .

قال حسان بن ثابت :

عرفت ديار زينب بالكتب كخط الوحى فى الورق القشيب[4]

فها هم العرب لم يتركوا وسيلة من وسائل الكتابة ، إلا واستخدموها فقد كتبوا على سعف النخيل ، والحجارة كما أنهم كتبوا على ورق البردى والحرير الناعم ، والقطن المصقول ، والجلد الرقيق ، وما إلى ذلك من الأدوات التى أومأنا إليها آنفًا .

أسماء المكتوبات :

مما تقدم استبيان لنا بوضوح وجلاء تامين أن عرب الجاهلية عرفوا القراءة والكتابة ، كما أنهم عرفوا أدواتها ، وقد ذكروا ذلك فى شعرهم ، وهو بلا ريب سجل مفاخرهم ،

(١) الديوان ، ص٤٩٨ .

(٢) الديوان .

الفدفد : الأرض المرتفعة المستوية ، المخلد : المقيم .

(٣) الفهرست لابن النديم .

(٤) الديوان .

وعنوان معايشهم ، بل هو المرآة الصادقة لحيواتهم ، كذلك كانت لهذه المكتوبات أسماء معروفة لديهم وهى :

أولاً : الصحيفة : وقد ورد ذكرها فى القرآن الكريم ثمانى مرات وهى : قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ** ﴾[1] وقوله عز وجل : ﴿ **إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى** ﴾[2] وقال سبحانه : ﴿ **فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ** ﴾[3] وقوله : ﴿ **بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً** ﴾[4] وقوله : ﴿ **رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً** ﴾[5] وقوله : ﴿ **وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ** ﴾[6] وقوله سبحانه : ﴿ **أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ** ﴾[7] .

ويقول الألوسى : والصحف ما كان من جلود ، والقسط الكتاب والمجلة صحيفة كانوا يكتبون فيها الحكمة .

قال النابغة :

مجلتهم ذات الإله ودينهم قويم به يرجون العواقب

والمعنى يقول إن صحيفتهم التى فيها وصاياهم مثبتة على طاعة الله ، ودينهم مستقيم يرجون به ثواب الله تعالى[8] ويقول الشاعر ثعلبة بن عمرو العبدى :

لمن دمن كأنهن صحائف قفار خلا منها الكثيب فواحف[9]

---

(١) سورة التكوير ، الآية ١٠ .
(٢) سورة الأعلى ، الآيتان ١٨ ، ١٩ .
(٣) سورة عبس ، الآية ١٣ .
(٤) سورة المدثر ، الآية ٥٢ .
(٥) سورة البينة ، الآية ٢ .
(٦) سورة طه ، الآية ١٣٣ .
(٧) سورة النجم ، الآية ٣٦ .
(٨) بلوغ الأدب فى معرفة أحوال العرب ، تأليف السيد محمود شكرى الألوسى ٣/ ٣٧١ نشر محمد جمال ، المكتبة الأهلية بمصر .
(٩) المفضليات للضبى والوصف فى الشعر العربى للأستاذ/ عبد العظيم على قناوى ، مصطفى البابى الحلبى وشركاه .

ثانيًا : الكتاب : وهو أعم من الصحيفة ، وأكثر ذيوعًا وانتشارًا ، وقد ورد ذكره فى القرآن الكريم فى آيات كثيرة يبلغ عددها إحدى وستين ومائتى مرة إفرادًا وجمعًا[١] . لفظة الكتاب وردت وشاعت فى كتب رسول الله ﷺ وفى أخبار صحابته رضوان الله تعالى عليهم بما لا مجال لمتتبعه واستقصائه وتسجيله ، وإنما نسوق مثالاً مما ورد فى كتب الرسول عليه السلام ، فقد كتب رسول الله ﷺ كتابًا بين المهاجرين والأنصار ، وادع فيه يهودًا وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم ، وقد وردت لفظة الكتاب مرتين ، الأولى : قوله عليه السلام هذا كتاب من محمد النبى بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب[٢] والثانية قوله عليه السلام : (وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم)[٣] .

أما فى الشعر الجاهلى فقد وردت اللفظة فى شعر « تميم ابن أبى بن مقبل العامرى » حيث يقول :

منهن معروف آيات الكتاب وقد تعتاد تكذب ليلى ما تمنينا[٤]

وقول الشاعر « لقيط بن يعمر الإيادى » :

هذا كتابى إليكم والنذير لكم لمن رأى رأيه منكم ومن سمعا[٥]

وقول « عبيد بن الأبرص » :

لمن الدار أقفرت بالخباب غير نؤى ودمنه كالكتاب[٦]

كما وردت لفظة (الكتاب) فى كتابه ﷺ إلى وفد (همدان) حيث قال : هذا كتاب من محمد رسول الله إلى مخلاف خارف وأهل جناب الهضب ، وخفاف الرمل مع وافدها ذى المشعار (مالك) ابن نمط ومن أسلم من قومه[٧] .

---

(١) المعجم المفهرس ، ص٥٩٢ وما بعدها .

(٢) تهذيب سيرة ابن هشام للأستاذ/ عبد السلام هارون ، ط الرابعة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م ، ص١١٥ نشر المؤسسة العربية الحديثة .

(٣) ذاته ، ص١١٨ . (٤) جمهرة أشعار العرب لأبى زيد القرشى ، ص٣١٨ .

(٥) مختارات ابن الشجرى ، ص١٠٥ . (٦) ذاته ، ص١٠٥ .

(٧) العقد الفريد لابن عبد ربه ١/ ٣١ ، ٣٢ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م خفاف الرمل وجناب الهضب وخارف . أسماء بلادهم . المشعار : لقب ملك وقيل موضع باليمن ينسب إليه .

كما أنها وردت فى كتابه عليه السلام إلى وفود كلب فقال : هذا كتاب من محمد رسول الله لعمائر كلب وأحلافها ، ومن ظأره الإسلام من غيرها مع قطن بن حارثة العليمى ، بإقامة الصلاة لوقتها ، وإيتاء الزكاة لحقها فى شدة عقدها ، ووفاء عهدها ، بمحضر شهود من المسلمين سعد بن عبادة ، وعبد الله بن أنيس ، ودحية بن خليفة الكلبى عليهم فى الهمولة الراعية[1] .

كما وردت فى حديثه عليه السلام حينما بعث (عياش) بن أبى ربيعة إلى بنى عبد كلال وقال له : خذ كتابى بيمينك ، وادفعه بيمينك فى إيمانهم[2] .

وقال الشاعر (عدى بن زيد) :

تعرف أمس من ليس الطلل ... مثل الكتاب الدارس الأحوال[3]

وقال أيضًا :

ناشدتنا بكتاب الله حرمتنا ... ولم تكن بكتاب الله ترتفع[4]

وقال الشاعر (سلامة بن جندل) :

لمن طلل مثل الكتاب المنمق ... خلا عهده بين الصليب فمطرق[5]

وقال (زهير بن أبى سلمى المزنى) :

يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر ... ليوم الحساب أو يعجل فينقم[6]

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ١/ ٣٤ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م خفاف الرمل وجناب الهضب وخارف . أسماء بلادهم . المشعار : لقب ملك وقيل موضع باليمن ينسب إليه ، العمائر جمع عمارة بالفتح والكسر ، وهى أصغر من القبيلة . ظأره . عطفه عليه والهمولة الراعية ، التى أهملت ترعى بأنفسها .

(٢) ذاته ، ص٥٠ .

(٣) الأغانى ٢/ ١٥٢ .

(٤) شعراء النصرانية ، ص٤٧٢ .

(٥) الديوان ، ص١٥ ، والأصمعيات لأبى سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك ، ص١٤٦ الأصمعية رقم ٤٢ . الصليب ومطرق . موضعان .

(٦) الديوان ، ص١٥ وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، لأبى بكر محمد بن القاسم الأنبارى . تحقيق هارون ، ص٢٦٦ ط دار المعارف ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

ثالثًا : الزبور : وقد يراد به الكتاب الدينى ، بيد أنه يطلق على غيره من الكتب ، ورد ذلك اللفظ فى القرآن الكريم تسع مرات وجميعها بمعنى (الكتاب الدينى) .

قال تعالى : ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾(١) وقوله سبحانه : ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾(٢) وقوله سبحانه : ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٣) وقوله : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾(٤) وقوله : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾(٥) وقوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴾(٦) وقوله سبحانه : ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾(٧) وقوله سبحانه : ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَائِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾(٨) .

ويقول الألوسى : « القط والزبور والرقيم (الكتاب) وزبرت ورقمت كتبت »(٩) .

أما الشعر الجاهلى فقد ورد فيه لفظ (الزبور) بمعنى الكتاب للدين فى قول أمية :

وأبرزوا بصعيد مستو جرز ... وأنزل العرش والميزان والزبر

وقول امرئ القيس :

أتت حجج بعدى عليها فأصبحت ... كخط زبور فى مصاحف رهبان(١٠)

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٨٤ .
(٢) سورة النساء ، الآية ١٦٣ .
(٣) سورة النحل ، الآية ٤٤ .
(٤) سورة الأنبياء ، الآية ١٠٥ .
(٥) سورة الإسراء ، الآية ٥٥ .
(٦) سورة الشعراء ، الآية ١٩٦ .
(٧) سورة فاطر ، الآية ٢٥ .
(٨) سورة القمر ، الآية ٤٣ .
(٩) بلوغ الأرب ٣/ ٢٧١ .
(١٠) الديوان ، ص٨٩ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط الثانية ، دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٤ .

وقول الشاعر (عمرو بن أحمر) :

أم لا تزال ترجـــى عيشـــة أنفـًا لم ترج قبل ولم يكتب بها زبر[1]

كـمـا ورد فى الشـعـر الجـاهلى لفظ (الزبور) دالاً على مطلق الكتـاب ، فى قـول الشاعر لبيد بن ربيعة :

وجلا السيول على الطلول كأنها زبـر تجـد متـونها أقـلامها[2]

وقوله أيضًا :

فنعاف صارة فالقنان كأنها زبر يرجعهـا وليد يمـان[3]

ويقول الشاعر امرؤ القيس :

لمن طلل أبصـرته فشجـانى كخط زبور فى عسيب يمان[4]

قال أبو ذؤيب اللهذلى :

عرفت الديار كرقـم الدوا ة يزبرها الكاتب الحميرى[5]

رابعًا : الرقيم : وهو لوح من حجارة كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف[6] ، وقـد ورد ذكره فى القرآن الكريم ، فقال سبحانه : ﴿ **أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا** ﴾[7] وفى لسـان العرب لابن منظور[8] (إن الرقـيم هـو اللوح) أمـا

(١) جمهرة أشعار العرب لأبى زيد القرشى ، ص٣١٥ .

(٢) شرح القصائد السبع الطوال تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، ص٢٥٦ ط الرابعة - دار المعارف ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م .

(٣) الديوان .

(٤) الديوان ، ص٩٦ ط دار المعارف بمصر . ت محمد أبو الفضل إبراهيم .

(٥) ديوان الهذليين ١/ ٦٤ وشرح المعلقات السبع الطوال تحقيق هارون ، ص٥٢٦ ، دار المعارف بمصر .

(٦) مختصر تفسير الإمام الطبرى ، ط دار الشروق ٣١٨ .

(٧) سورة الكهف ، الآية ٩ .

(٨) لسان العرب لابن منظور مجلد ١١ ، ص٢٥٠ ومجلة التضامن الإسلامى السنة الثانية والأربعون الجزء الثانى عشر جمادى الآخرة ١٤٠٨هـ فبراير ١٩٨٨م ، ص٥٩ .

الزجاج فيقول (الرقيم اسم الجبل الذى كان فيه الكهف ، وقيل اسم القرية التى كانوا فيها وقال الفراء (الرقيم) لوح رصاص كتبت فيه أسماؤهم ، وأنسابهم ، وقصصهم ، ومم فسروا ، وسأل ابن عباس كعب عن الرقيم فقال : « هو القرية التى خرجوا منها ، وقيل الرقيم الكتاب ، وذكر عكرمة عن ابن عباس أنه قال : ما أدرى ما الرقيم ، أكتاب أم بنيان يعنى بذلك أصحاب الكهف والرقيم ، وقال ابن عباس « الرقيم » واد قريب من « إيلة » فى الأردن ، وقال هو « الجبل » الذى فيه الكهف .

قال الضحاك : « أما الكهف فهو غار الوادى ، وأما الرقيم اسم الوادى » ، وقال مجاهد : « الرقيم كتاب بنيانهم » وقال سعيد بن جبير : « الرقيم : لوح من حجارة كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف ثم وضعوه على باب الكهف »[1] وهو الراجح والذى نميل إليه ، ونؤيده ونوافق عليه .

خامسًا : الطرس[2] : وهو الكتاب الممحو الذى يستطاع أن تعاد فيه الكتابة ، والتطريس فعلك به ، أى معاودتك الكتابة فيه مرة ثانية بعد الكتابة الأولى الممحوة يسمى تطريسًا ، وطرس الباب سوده .

سادسًا : الطلس : باللام كتاب لم ينعم محوه فيصير طرسًا[3] .

سابعًا : الكراسة : ما تكرست أوراقه وتلبدت[4] .

ثامنًا : المصحف : وسمى مصحفًا لأنه أصحف أى جعل جامعًا للصحف المكتوبة بين الدفتين ، وهما اللوحان اللذان يكتنفانه[5] .

---

(١) لسان العرب لابن منظور مجلد ١١ ، ص٢٥٠ ومجلة التضامن الإسلامى السنة الثانية والأربعون الجزء الثانى عشر جمادى الآخرة ١٤٠٨هـ فبراير ١٩٨٨م ، ص٥٩ .
(٢) بلوغ الأرب للألوسى ٢/ ٣٧١ .
(٣) ذاته .
(٤) ذاته .
(٥) ذاته .

أدوات الكتابة :

أومأنا آنفًا إلى ما يكتب عليه ، أما ما يكتب به فهو :

أولاً : القلم : وهو فى الجاهلية مصنوع من القصب يقط ويقلم ، أو يبرى ثم يغمس فى مداد الدواة ويكتب به .

والشاعر الجاهلى الذى كان يحتضر ، ولا يجد وسيلة للكتابة ، كان يتخذ من رحل فاتله صحيفة يكتب عليها ما كان يريد[١] .

وقد ورد لفظ (القلم) فى القرآن الكريم أربع مرات مفردًا ، وجمعًا ، ولا غرو فهناك سورة كاملة تسمى بسورة (القلم) فورد ذكره بالإفراد فى قوله تعالى : ﴿ **نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ** ﴾[٢] . وفى قوله سبحانه : ﴿ **عَلَّمَ بِالْقَلَمِ** ﴾[٣] .

وورد ذكره جمعًا فى قوله عز وجل : ﴿ **وَلَوْ أَنَّمَا فِى الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾[٤] . وأيضًا فى قوله تعالى : ﴿ **ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ** ﴾[٥] فالمراد بالأقلام هنا - أقلامهم التى يكتبون بها التوراة حيث إنهم اقترعوا على أن يلقوا أقلامهم فأيهم يثبت فى جرية الماء فهو كافلها ، فألقوا أقلامهم فاحتملها الماء إلا قلم زكريا عليه السلام فإنه ثبت[٦] .

---

(١) المفضليات للضبى ، ص٤٥٩ وما بعدها .

(٢) سورة القلم ، الآية ١ .

أقسم الله به وهو القلم الذى خلقه ، فأمره بكتابة جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة . يسطرون : يخطون ويكتبون .

(٣) سورة العلق ، الآية ٤ .

(٤) سورة لقمان ، الآية ٢٧ .

(٥) سورة آل عمران ، الآية ٤٤ .

(٦) مختصر تفسير ابن كثير المجلد الأول ، ص٢٨٢ دار القرآن الكريم - بيروت ، لبنان .

كما ورد ذكر القلم فى الشعر الجاهلى ، يقول عدى بن زيد :

له عنق مثل جذع السحو ق والأذن مصعنة كالقلم[١]

وقال أيضًا :

ما تبين العين من آياتها غير نؤى مثل خط بالقلم[٢]

ويقول الزبرقان بن بدر :

هم مهلكون ويبقى بعد ما صنعوا كأن آثارهم خطت بأقلام[٣]

ويقول المرقش الأكبر :

الدار وحشى والرسوم كما رقش فى ظهر الأديم قلم[٤]

ويقول الشاعر شيم بن خويلد الفزارى :

تسمع أصوات كدرى الفراخ به مثل الأعاجم نقش المهرق القلما[٥]

ويقول لبيد يصف كاتبًا ، وقد ذكر (القلم) :

متعود لحن يعيد بكفه قلمًا على عسب ذبلن وبان[٦]

وقوله أيضًا :

وجلا السيول على الطلول كأنها زبر تجد متونها أقلامها[٧]

والقلم قد ذكر كثيراً فى الشعر الجاهلى بالإفراد والجمع ، وما أثبتناه ليس إلا من قبيل المثل والشاهد .

---

(١) سمط اللآلئ للبكرى ، ص٨٧٦ .
السحوق من النخل الطويل مصعنة : منصوبة محددة .
(٢) الأغانى ٢/ ١١٩ .
(٣) البيان والتبيين للجاحظ ٣/ ١٧٩ .
(٤) الديوان جـ ص ط .
(٥) النقائض ، ص١٠٦ .
(٦) شرح المعلقات للتبريزى ، ص١٢٨ .
(٧) شرح القصائد السبع الطوال ت الأستاذ عبد السلام هارون ، ص٥٢٦ .

ويسمى (القلم) مزبراً ، فقد روى أن أبا بكر رضى الله عنه دعا فى مرضه بداوة ومزبر ، فكتب اسم الخليفة بعده ، ويقول الزمخشرى (المزبر) هو القلم ، وأنشد الأصمعى :

*** قد قضى الأمر وجف المزبر ***

ويسمى أيضًا (المرقم) و (الرشق) صوت القلم[1] .

ويقول الأصمعى أيضًا : إن (زبرث) أى كتبت ، وزبرت يعنى قرأت .

يقول امرؤ القيس :

لمن طلل أبصرته فشجانى كخط زبور فى عسيب يمان

أراد (كتابًا) أما أبو عبيدة فيرى أنهما بمعنى واحد[2] .

يقول حاتم الطائى :

أتعرف أطلالاً ونؤيا مهدمًا كخطك فى رق كتابًا منمنمًا

والقلم قبل أن تبريه أنبوبة فإذا بريته فهو قلم وما يسقط منه عند البرى فهو البراية بضم الباء وتقول بطنت القلم أى رققت بطنه ، وأنفته أى حددت طرفه وشباته حده[3] وحصرم القلم يعنى براه .

ثانياً : الدواة : وهى بلا ريب من أدوات الكتابة وجمعها دوى ، ودويات ، ودوى[4] وقد ورد ذكرها فى الشعر الجاهلى ، حيث يقول الشاعر الجاهلى عبد الله بن عتمة :

فلم يبق إلا دمنة ومنازل كما رد فى خط الدواة مدادها[5]

ويقول أبو ذؤيب الهذلى :

عرفت الديار كرقم الدوا ة بزبرها الكاتب الحميرى[6]

---

(١) بلوغ الأرب للألوسى ٣/ ٣٧٢ وأيضًا أدب الكتاب للصولى .

(٢) شرح القصائد السبع الطوال ت الأستاذ عبد السلام هارون ، ص٢٥٦ ط دار المعارف بمصر . بتصرف .

(٣) بلوغ الأرب للألوسى ٣/ ٣٧٠ وما بعدها .

(٤) ذاته .

(٥) المفضليات للضبى ، ص٧٤٣ .

(٦) ديوان الهذليين ١/ ٦٤ .

ويقول ثعلبة بن عمر العبدى :

أكب عليها كاتب بدواته يقيم يديه تارة ويخالف[1]

ويقول أيضًا الشاعر (سلامة بن جندل) :

أكب عليه كاتب بدواته وحادثة فى العين جدة مهرق[2]

ثالثًا : الحبر : ويسمى أيضًا (المداد) كما ورد أنهم كانوا يسمونه (نقسًا) ، قال الشاعر (حميد بن ثور)[3] .

لمن الديار بجانب الحبس كخط ذى الحاجات بالنقس

وقد ذكر لفظ (المداد) فى القرآن الكريم ، فقال سبحانه ﴿ **قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا** ﴾[4] .

والمعنى : قل لو كان البحر مدادًا للقلم الذى يكتب به كلامه وحكمه لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات الله وحكمه ، وسمى المداد مدادًا لأنه يمد الكاتب ، ومددت الدواة ، صببت فيها ماءها ومدها ، وتقول (مدنى أى اعطنى مدة من الدواة ، وقد خثرت الدواة خثورة وخثارة ، إذا اتخن نفسها وهو المداد ، يقال نقس وأنقاس لقطع منه)[5] .

وكما ذكر القلم فى أشعار الجاهليين ، ثم ذكر فى القرآن الكريم ، كذلك ذكر شعراء العصر الإسلامى (القلم والدواة) ، فى قول الشاعر عدى بن الرقاع :

تزجى أغن كأن إبرة روقه قلم أصاب من الدواة مدادها[6]

أى تزجى البقرة ولدًا فى صوته غنة ، كأن رأس قرنه قلم بمداد[7] .

---

(١) المفضليات للضبى والوصف فى الشعر العربى للأستاذ عبد العظيم على قناوى ، ص٢٤٥ .

(٢) الأصمعيات ت وشرح الأستاذين أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، ص١٤٦ الأصمعية رقم ٤٢ .

(٣) الديوان ، ص٩٧ . (٤) سورة الكهف ، الآية ١٠٩ .

(٥) بلوغ الأرب للألوسى ٢/ ٢٧٠ .

(٦) طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين لأبى عبد الله محمد بن سلام الجمحى البصرى ، ص٢٤٠ ط المطبعة المحمودية التجارية الكبرى .

(٧) أمالى المرتضى ٢/ ١٢٥ ت محمد أبو الفضل إبراهيم ط دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابى الحلبى وشركاه .